

جماليات الصراع اللغوي بين الفصحي والعامية في إقليم توات  
مقاربة لسانية بين الاستعمال اللغوي والإبداع الأدبي

د: عبد القادر قصباوي  
جامعة بشار

الملخص

يعيش الإنسان في حالة تمدللية يتفاعل فيها الفكر مع اللغة، فيفكر بعقله لإنتاج معاني ودلالات ويعبر عنها باللغة لإيصالها لغيره فينشئ بذلك تواصلاً لغوياً قائماً على اللغو بالكلام، وللغو المستنق من لغى يلغو فعل أدائي يقوم على الترميز الدلالي ويترجم حدثاً لسانياً تواصلياً بين طرفين، ولأن اللغة أحسن وسائل الترميز دلالة كان حدتها "أصواتاً يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"، ولللغة نظام يحكمها يستخلص سمعانياً من تداول استعمالاتها فيصبح قاعدة تضبطها، ونظراً للصلة بين جغرافية المكان ولسان تعبير الجماعات، تدخل اللهجة بكل جمالياتها لتفعيل أواصر التعارف والتواصل بين الشعوب والقبائل، الأمر الذي يجعل مستويات التعبير اللفجي تشكل حقولاً لسانية التعبير في اللسان الواحد، ومثال ذلك اللسان العامي الجزائري المشترك وما يتبعه من حقول لهجية فرعية تتتنوع وتختلف تبعاً لجغرافية تموقع السكان؛ أقليات وجماعات، شمالاً وجنوباً وغرباً وشرقاً.

تمهيد

في هذه الورقة سنقف عند لهجة إقليم توات بالجنوب الجزائري كاشفين جماليات المفارقة اللغوية التي تجمعها والفصحي استعمالاً تواصلياً بين الأفراد وإبداعاً أدبياً لدى المبتدئين بهذا الجانب "شعاً، رواية، قصة، مسرح،....".

قبل البدء في متن الموضوع لابد من ضبط المصطلحات المفاتيح التي تسهل البحث وتحصره في اتجاه محدد، ولعل لأهم هذه المصطلحات مصطلحي: اللغة واللهجة فم حد كل منها؟، وما ميزاتها؟، وأين تكمن العلاقة بينهما؟.

اللغة:

لما كانت اللغة ذات طبيعة اجتماعية مقرنة بالجنس البشري ذو العقل المفكّر، والنفس الطموحة، والذي لا يعيش إلا في وسط جمعي، له أطري سير عليها ونظم يعيش وفقها، وكل إخلال بأحدّها يعد خروجاً عن الجماعة ولو كانت أقلية، كانت اللغة أهم الأنظمة المتفق عليها والتواصل بها أهم ركائز التلاحم بغية الاستقرار الجماعي والحفاظ عليها وانتشارها بشكل قوة الحضور الفعلي، خاصة وأن «السلوك الجماعي على ثلاث درجات بلا رموز جماعية وبرموز جماعية غير شعورية وبلغة»<sup>1</sup>.

ويرى بعض الباحثين أن كلمة "لغة" لم تظهر بين مفردات اللغة في المعجم العربي إلا بعد انتهاء القرن الثاني الهجري، ولم تطلق على الرواية الذين كانوا يجمعون الثروة اللغوية من الbadia بعد شیوع اللحن إلا في القرن الرابع الهجري، بعد أن كثر البحث في اللغة وظهرت علوم العربية وفنونها، فكان يطلق على الواحد منهم باللغوي لما يحفظه من ثروة لغوية، على غرار أبي الطيب اللغوي وابن دريد والأزهري وغيرهم كثُر.<sup>2</sup>

وعن ورود كلمة "لغة" في الأدب العربي يرجع بعض الباحثين ذلك إلى القرن الثامن الهجري في شعر صفي الدين الحلبي وهذا بيانه<sup>3</sup>:

فَتَلْكَ لَهُ عِنْدَ الْمُلْمَاتِ أَغْوَانُ  
بِقُدْرِ لُغَاتِ الْمَرْءِ يَكُثُرُ نَفْعُهُ  
فَكُلُّ لِسَانٍ فِي الْحَقِيقَةِ إِنْسَانٌ  
فَهَا فِتْ عَلَى حِفْظِ الْلُّغَاتِ وَفَهِمْهَا

والأمة العربية أمة القرآن، وقد أنزل بلغتها ولكنها عبر عنها . اللغة . باللسان نحو قوله تبارك وتعالى: ﴿ وَإِنَّهُ لَتَنزِيلٌ رِّبِّ الْعَالَمِينَ نَزَّلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيًّا مُّبِينً﴾<sup>4</sup> ، فنلاحظ أن كلمة لسان هي الأكثر والأشهر استعمالا في اللغات السامية، وهذا ما أكدته إبراهيم أنيس بقوله: «يظهر أن العرب القدماء في العصور الجاهلية وصدر الإسلام لم يكونوا يعبرون عمما نسميه نحن باللغة إلا بكلمة اللسان تلك الكلمة المشتركة اللفظ والمعنى في معظم اللغات السامية شقيقات اللغة العربية، وقد يُستأنس لهذا الرأي بما جاء في القرآن الكريم من استعمال كلمة لسان وحدها في معنى اللغة»<sup>5</sup> .

ووردت كلمة لغة لدى القدماء ويراد بها اللهجة، ويعابدها في اللغة الانجليزية longue، ويقابلها في الفرنسية، وكلاهما تعنيان لسان أو لغة، وبذلك تشتهر اللغتان الفرنسية والإنجليزية مع اللغة العربية في التعبير عن اللغة باللسان<sup>6</sup> .

وعن اشتقاقها وتصريف حروفها يشير ابن جني إلى أنها مشتقة من الفعل لغا يلغو إذا تكلم أو من لغى يلغي بكسر الغين في الماضي وفتحها في المضارع إذا لمح يقول ابن جني: «وأما تصريفها ومعرفة حروفها فإنها فعلة من لغوت. أي تكلمت؛ وأصلها لغوة ككرة، وقلة، وثبة، كلها لاماتها واوات؛ لقولهم. كروت بالكرة، وقلوت بالقلة، ولأن ثبة كأنها من مقلوب ثاب يثوب، وقالوا فيها لغات ولغون»<sup>7</sup> ، وأورد لها اشتقاق آخر مفاده أنها من «لغي يلغى إذا هندي؛ ومصدره اللغا قال:

ورَبَّ أَسْرَابِ حَجَّيجِ كُظَمٍ      عَنِ الْلَّغَا وَرَفِثِ التَّكَلَمِ

وكذلك اللغو؛ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِذَا مَرُوا بِاللَّغُو مَرُوا بِكَرَاماً ﴾<sup>8</sup> ؛ أي بالباطل، فنلاحظ أن ابن جني يشير إلى المعنى اللغوي بتصرفين مختلفين الأول من لغا يلغو إشارة إلى التكلم، والثاني من لغي يلغى إشارة إلى رفض القول وقبح الكلام، فبالمعنى الأول قال الفيروزآبادي وهو الوارد في قاموسه «لغا لغوا تكلم ج لغات ولغون»<sup>9</sup> .

ولأن موضوعنا يتعلق بالصوت اللغوي الذي اختص به الإنسان دون غيره سنجدد مفهومه الاصطلاحي العلمي الذي وقف عنده علماء اللغة والدارسين، فالصوت اللغوي ظاهرة فيزيائية

سمعية معبرة حاملة لمعاني وأفكار دالة منقولة من مرسل إلى مستقبل<sup>10</sup>، وفي ذلك إشارة إلى الطبيعة الاجتماعية للغة وارتباطها بالجنس البشري، لذلك كانت الأصوات اللغوية أداة للتواصل عند الإنسان، وفي هذا المعنى يتحدث ابن جني معرفاً اللغة بقوله: «أما حدتها فإنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم»<sup>11</sup>، فمن تعريف ابن جني تتبين لنا عدة مفاهيم فرعية كلها في امتداد دلالي إلى المفهوم العام للغة وهذا بيانها:

أولاً: اللغة أصوات، ونعني به أنها ترتكز على التصويب اللغوي دون سائر وسائل الترميز الدالة.

ثانياً: يعبر بها، ونفهم منها الوظيفة الأساسية للغة وهي التواصل والتعبير عن الأغراض.

ثالثاً: كل قوم، وهنا إشارة إلى التنوع والاختلاف حسب التموقع الجغرافي جماعات وأقليات.

إذا سلمنا بهذه المفاهيم، وبعد تأكيدنا اللامشروط بأن اللغة أصوات تعبيرية يستعملها الأفراد لنقل الأفكار وقضاء الحاجات والأغراض، هل يمكننا أن نتوقع أن تكون مجموعة واحدة تتكلم اللسان نفسه، أو نجد في المجتمع الواحد قوماً يتحدثون بنظام لساني واحد يشترك فيه العام والخاص؟ بالطبع الإجابة ستكون لا.

إن الإجابة عن هذا السؤال بالنفي هو اعتراف ضمني بتنوع الألسنة والاختلاف بين مستويات التعبير اللغوي، وهو جواب يفتح الباب على مصراعيه للهجة كي تتربيع على جغرافيا المكان الشاسعة، وتتوغل تنوعاً على ألسنة الجماعات والأقليات القاطنة في أي قطر منها.

#### اللهجة:

يعبر علماء العربية القدامى عن اللهجة بكلمة "اللغة"، حيث نجد ابن جني في الخصائص يعقد باباً بعنوان "باب اختلاف اللغات وكلها حجة"، وقد عقر لذلك ابن فارس في الصاحبي بباباً بعنوان "اختلاف لغات العرب من وجوهه"<sup>12</sup>، وما دامت اللغة تعبر عن اللهجة وللسان تعبر

كذلك عن اللغة، فإن اللهجة ضرب من تسميات اللسان، مع ارتباط كل هذه المصطلحات بوظيفة واحدة هي التواصل والتعبير بين الأفراد.

إن في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقُ الْجِنِّينَ وَالْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴾<sup>13</sup> تأكيد صريح على الاختلاف الإنساني وتنوع الوجود الإقليمي الممتد عبر جغرافيا الأرض، هذا التنوع والاختلاف استدعي أن يكون لكل أمة لسان تواصلها فيما بينها وبه سبيل تعارفها مع غيرها تماشياً والنص القرآني ﴿ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُونًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾<sup>14</sup> وما يدلل على الفكرة التي رمناها قوله في موضع آخر ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمَهُ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ﴾<sup>15</sup>، وفي هذا تأكيد على تعدد الألسنة التعبيرية وما ينضوي تحتها من لهجات ولغات مختلفة.

أورد لها العلماء تخريجين استقاقيين ، وكل تخرج مرجعيته العلمية:

الوجه الأول: أنها مأخذة من لهج الفصيل يلهمج أمه: إذا تناول ضرع أمه يمتسه لهج الفصيل بأمه يلهمج إذا اعتاد رضاعها فهو فصيل لا هج<sup>16</sup>.

الوجه الثاني: أنها مشتقة من «لهج بالأمر لهجا ولمهوج وألهج كلاماً تعني: أُولئك به واعتاده، وألهجه به، ويقال: فلان لمههج بهذا الأمر، أي مولع به»<sup>17</sup>، وفي صحاح الجوهرى نجد: «اللهج بالشيء الولوع به، وقد لهج بالكسر، به يلهج لهجا إذا أغري به فثابر عليه»<sup>18</sup>، فكلا المعنين صحيحين ويحملان معنى اللهجة.

وعن اللهجة يقول ابن منظور: «اللهجة واللهجة: جرس الكلام، والفتح أعلى. ويقال: فلان فصيح اللهجة واللهجة، وهي لغته التي جبل عليها فاعتادها ونشأ عليها»<sup>19</sup>، وقال عنها الجوهرى كذلك: «واللهجة: اللسان، وقد يحرك، يقال فلان فصيح اللهجة واللهجة»<sup>20</sup>، ومن تعريفها نجد: هي طريقة تواصل معينة تظهر من خلال الاستعمال اللغوي وتختص بيئية من بيئات اللغة الواحدة، وعند بعضهم:

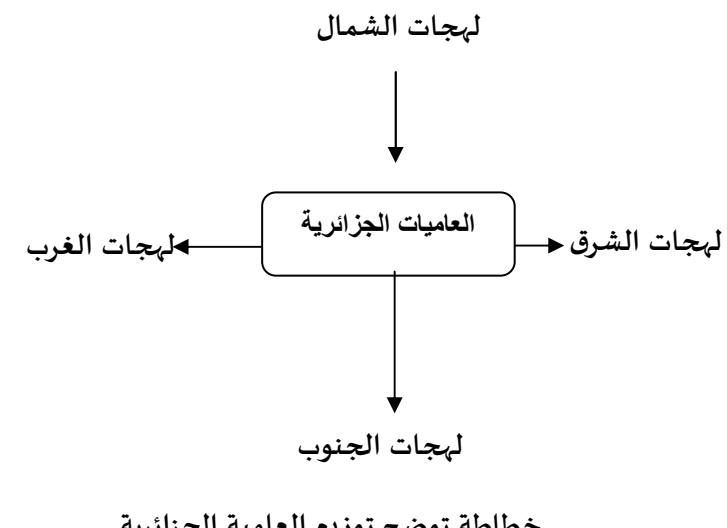
«العادات الكلامية لمجموعة قليلة من مجموعة أكبر من الناس تتكلّم لغة واحدة»<sup>21</sup>، ومثاله اللسان العربي المشترك الذي يضم 95 % من العربية الفصحى، و5 % من باقي لهجاتها. وكذلك اللغة العربية المعاصرة التي لم تعد بطبيعة الحال كعربة القدامى فقد تفرعت إلى عربية مصرية وعربية أردنية، وعربية جزائرية وعربية مغربية....الخ، وهذا راجع إلى التجمعات الجغرافية المتعددة من المشرق العربي إلى المغرب العربي، وهو ما أدى لظهور العامية العربية.

#### العامية العربية:

هي لغة ناتجة عن العربية الفصحى، قال عنها عبد الجليل مرناض: «وحتى العامية العربية التي فقدت جانباً من محاصلها النحوية والصرفية بفعل آثار العوامل الصوتية وعوامل أخرى خارجة لم تتغير بنيتها الوظيفية»<sup>22</sup> فهو يرى أن العامية العربية لغة ناتجة عن مؤثرات قد تكون صوتية أو جغرافية لحقت العربية فغيرت من بنيتها الوظيفية، وأصبحت الظاهرة عامة لدى أقليات أو جماعات، يقول: «نلاحظ الظاهرة نفسها ثابتة، من ذلك ما يسمى بالعنونة "إبدال الهمزة عيناً" ، والشكشكة "إبدال الكاف شيئاً..."»<sup>23</sup>، فالعامية هي لغة العامة من الناس، لغة يفهمها العام والخاص، لأنها تمتاز بالبساطة والوضوح، لغة تُكتسب عفويًا ولا تستدعي تكلفاً ولا عناء في استعمالها، هي لغة التسوق لغة الفلاح، لغة درشات الشارع والبيت، إنها لهجات كلام العامة.

إذن العامية هي لسان تواصل وتعبير، وبما أنها فرع من لغة أو تأدية لنظام لغوي معين يرتبط بالجماعات ومناطق وجودهم نستطيع أن نسمي اللهجة عامية، خاصة وأن «اللهجة في الاصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتهي إلى بيئه خاصة، ويشارك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئه أوسع وأشمل، تضم عدة لهجات».

ونجد في العامية الجزائرية أو غيرها من العاميات العربية تنوعات لهجية تختلف من منطقة لأخرى، الأمر الذي يستدعي وجود لهجات جزائرية عدّة<sup>24</sup>، ويمكن أن نبيّنها في المخطط التالي:



### الصراع اللغوي بين الفصحي والعامية في إقليم توات:

وفي الجزائر نجد تمثيلاً كبيراً أكثر دلالة على التعدد اللهجي واختلاف مستويات التعبير بين أفراد الوطن الواحد، فالتنوع الآثني والانتشار القبلي، جعل لسان الأمة الجزائرية يختلف من منطقة لأخرى مشكلاً حقولاً لهجية تنضوي تحت حقل عام هو اللغة الواحدة، نحو ما نجده في لهجة الشرق بالطارف، وعنابة، وتبسة، أو لهجة الغرب كما هو الحال في وهران وتلمسان، ...، علاوة على الصراع القائم بين هاته اللهجات ولهجات أخرى قارة في بعض المناطق باعتبار أصولهم البربرية، ونقصد هنا اللغة الأمازيغية وما يتبعها من فروع لهجية كالشاوية وتحديداً في باتنة وخنشلة، ...، والتارقية، بتمزارت، وإليزي، ....، والميزابية بغرداية، والزناتية بأدرار.

وما دام البحث يبني على الصراع اللغوي في إقليم توات، سنعرف هنا الإقليم جغرافياً واجتماعياً وتوزعاً سكانياً حتى نشخص طبيعة الصراع اللغوي بين قاطنيه استعمالاً يومياً وإبداعاً أدبياً في أقاليمه الثلاثة: توات، قورارة، تدیکلت.

### أ. إقليم توات . الموقع والتسمية

شهدت منطقة توات إبان القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين حراكا علميا واسعا في مختلف مجالات الفكر والمعرفة، ومرجعية ذلك لامتدادها العلمي إلى حواضر شمال إفريقيا كفاس والقاهرة وغيرها كحواضر الأزواب التي تسمى مالي حاليا "تمبكتو، جني، قاوا"، إضافة إلى موقعها الجغرافي المترافق في وسط الصحراء الكبرى، والذي جعلها نقطة عبور استراتيجية للرحلة تجارة وعلماء عبر هذه الحواضر، فجغرافية إقليم توات « بينه وبين سجلماسة مسافة ثلاثة عشر يوم ... وغيرها عشرين يوما لأول السودان، ومن غدامس عشرين يوما، ومن بلاد الراب عشرة أيام شرقا، ومن ناحية أولاد عيسى قدر أسبوع إسراعاً بلاد البيض سيدي الشيخ، وعدد قصورها في القرن الحادي عشر مائتا قصر أوسطها بودة وتيبي وتمنطيط»<sup>25</sup> ، فنلاحظ أن امتدادها الجغرافي مع أغلب عواصم الدول الإفريقية كالسودان، والنيجر، وليبيا والمغرب أهلها لأن تحظى باهتمام كبير من العلماء والتجار، فكانت محل استيطان لكثير منهم.

وتضم منطقة توات ثلاثة أقاليم قورارة، توات، تيديكلت « حيث يقع إقليم تيديكلت جنوب مقر الولاية حاليا وهي من قصر فقارة الرزوى بعين صالح حتى رقان، أما إقليم قورارة فهي إلى الشمال من قصر تبلکوزة شمالا إلى قصر تسابيت جنوبا وأما توات فهي وسط بينهما»<sup>26</sup> من بودة شمالا إلى رقان جنوبا، ويطلق على هذه الأقاليم الثلاثة كلها اسم توات مجازا من باب تسمية الكل بالجزء، على اعتبار أن توات أصبحت تسمية موازية لولاية أدرار وهذه الأقاليم الثلاثة جزء من جغرافيتها.

أما عن أسباب تسمية المنطقة بتوات فقد اختلفت الروايات باختلاف العلماء والمؤرخين، فهناك من يرى أن عقبة بن نافع الفهري لما استفتح بلاد المغرب ووصل ساحله، ودخل بلاد توات وسمع ما يفضي عنها من ضعف أمام مجرمي المغرب وعصاباته، سأله عن ما إذا كانت تواتي لنفهم ورد بطشهم، فأجابوه بأنها تواتي فسميت بذلك، ثم تغير اللفظ لضرب من التخفيف فأصبحت توات<sup>27</sup> ، وهو رأي للعالم محمد بن عمرو (ت13هـ)، غير أنه يورد رأيا آخر شرحه الشيخ سيد

البكري (ت 141هـ)، حيث يقول أن المهدي الشيعي لما غالب سلطان الموحدين على المغرب، بعث قائديه الطاهر بن عبد المؤمن وعلي بن الطيب لأهل الصحراء وأمرهما بقبض الأتواء فسمى أهل هذه البلاد بالأتوات لقبول السلطان به في المغر<sup>28</sup>، وهذا الرأي أقرب للصواب من الأول لما داد "ت وت" من معاني لغوية في المعاجم العربية، يقول الفيومي "ت 770هـ" في مصباحه المنير «التوت هو الفاكهة والجمع أتونات»<sup>29</sup>، فنسبت الأتونات لقاطني المنطقة فلقبوا بأهل الأتونات، ومع الأيام حذف المضاف وأبقى على المضاف إليه، وتجنبوا لشل نطقها حذف التعريف والألف فأصبحت توات وصارت تطلق على القطر الصحراوي من تبلکوزة إلى عين صالح وهو التفسير الشائع لدى المؤرخين<sup>30</sup> قديماً وحديثاً.

#### التواصل اللغوي في إقليم توات:

يتواصل سكان الإقليم بشتى مستويات التعبير اللغوي، فنجد العربية الفصحى والعامية، والزناتية، وهذه المستويات الثلاث نجدها لدى السكان الأصليين، في حين نجد كذلك التارقية، والقبائلية، والميزابية والشاوية، لدى الوافدين إليها بهدف العمل أو العلم أو التجارة أو هروباً من الحروب كما هو الحال بالنسبة للتارقية التي نجدها لدى اللاجئين من حروب شمال مالي والصحراء الغربية ....، أو القبائلية والشاوية، الفارين من دموية العشيرة السوداء، فكان هذا التنوع اللهجي سبباً كافياً في إثارة «قضية الصراع فيما بينها، وهو صراع من أجل السيادة والبقاء، سواء اتخذ صورة حربية، أو صورة سلمية»<sup>31</sup>، وهو صراع يظهر جلياً للمتأمل ليومياتهم التواصلية ولهجاتهم الكلامية، ولكن الغريب في الأمر أنه في ظل هذا الصراع اللغوي نجد اللغة الفرنسية كمستوى ثالث في الإقليم تتغلب مفرداتها بين مفردات اللغات السابقة وتفرض نفسها على الألسنة لتشكل الأزدواجية اللغوية بامتياز؛ لأننا لا نجد في الاستعمالات اللغوية من يزاوج بين العربية والتارقية مثلاً، أو بين العربية العامية والشاوية أو الميزابية. في حين نجد الفرنسية تشارك مفرداتها ألسنة جميع متكلمي هذه المستويات التعبيرية.

ونجد ازدواجية بين العربية والعامية أو بين إحداهما والزناتية وهذا طبيعي لأن جميعها لغات أصلية في المنطقة ومفردات كل منها متجلزة على ألسنة السكان منذ القديم، إلا أن الذي

يندى له الجبين هو استعمال مفردات فرنسية وإدخالها جنبا إلى جنب مع مفردات العربية تحت طائلة نظامها اللغوي، نطقا صوتيا، واشتقاقا صرفيما، واعطائهما الوظيفة النحوية للمفردة الأصلية عربية كانت أو عامية أو زناتية، فتحمل دلالتها، وتصبح وكأنها مرادفة لها وهي ظاهرة يشهدها القطر الجزائري عامة.

والمتتبع للصراع اللغوي في إقليم توات يتبين له أنه ليس صراعا حربيا من أجل البقاء، فأصل التسمية كما لاحظنا سابقا يعود إلى التوت، فهي أرض توati الوافد إليها خاصة إذا كان مسالما، إضافة إلى أن أهلها أهل جود وكرم لهم قابلية التواصل مع الآخر، لذلك كان هذا الصراع ناتج عن الاحتكاك والاختلاط فكل الوافدين إليها تجمعهم مع السكان الأصليين قضايا عده، سواء من ناحية الدين، أو العادات أو اللغة أو الوطنية خاصة الجزائريين الوافدين من الشمال، فالعربي منهم يجد نفسه بين قوم عرب، والأمازيغي أو الشاوي، أو الميزابي، يجد في الإقليم سكان أصليين يجمعه بهم نفس الأصل اللغوي، الأمر الذي جعل إقليم توات منذ 1990 إلى الآن يشكل جماعة لغوية تتواصل بلغة مشتركة فرضتها التركيبة الاجتماعية للإقليم، هي اللهجة التواتية.

وأمام هذا التجمع اللغوي المتعدد الألسنة بقي الصراع يتجاذب بين العربية الرسمية ولهجاتها العامية وما يوازيها من لهجات بربرية، ففي شمال الولاية بقورارة . تيميمون حاليا . كلامهم الأصلي الزناتية لكن سرعان ما اضمحلت أمام زحف العربية التي عربت ألسنة غالبية سكانها ولم يتبق من اللسان الزناتي إلا في قصور قليلة كطلمين وشروين وأولاد عيسى وقصر قدور وبادريان وتاورسيت، فطلمين مثلا لا يتواصل سكانها إلا باللهجة الزناتية، إلى درجة أن معلم العربية في الابتدائي يجد نفسه مجبرا على تعلمها لأن الطفل في هذا المنطقة لا يعرف شيئا عن العربية ولا حتى حروفها، أما باقي قصور قورارة ووسط المدينة فإن الزناتية لا نجد لها إلا لدى الشيخ وحافظ موروثاتهم الأدبية من أقوال وأشعار كقصائد أهليل التي يكاد يحفظها غالبية السكان شيوخا وكبارا وصغارا، رجالا ونساء، وحتى لو جدنا من يفهمها فإنه يجد صعوبة كبيرة في التحدث بها، ورغم أن الزناتية تنتشر عبر كامل منطقة قورارة إلا أن استعمالها وتداول مفرداتها نجده لدى قلة قليلة من السكان، لأن الأغلبية الغالبة عربت ألسنتها نتيجة الامزاج

الحضارى، والزحف العربى في المنطقة بفعل التجارة والعلم خاصة ما قامت به الزوايا من دور في تعليم العربية.

الأمر ذاته نلقيه مع اللهجة التارقية فالطوارق دخلوا منطقة توات منذ عهد بعيد، والغريب في الأمر أنهم يمتازون بالرحلة والتجوال ولا يستقرن في إقليم محدد، إلا أنها نجدهم قد تسبحوا باقليم توات بعد أن واثهم للعيش فيه سالمين آمنين، مستوطنيه أقليات في تجمعات مختلفة بمنقطة برج باجي مختار ورقان وسالي تباعا، ليدخلوا توات مقر الولاية، ممتهنين التجارة و مختلف الحرف بغية فرض وجودهم، إلا أن لهجتهم بقيت حكرا على ألسنتهم، ولم تقو على مجاهدة العربية التي فرضتها عوامل عدة أولها أنها رسمية في المنطقة وثانياً أن أغلب سكان توات من أصول عربية ضُف إلى ذلك العامل الديني والفكري وما فعلته الزوايا المنتشرة في كامل حواضر الإقليم.

أصبحت توات حاليا بأقاليمها الثلاث تشكل منطقة جغرافيا لالتقاء العديد من القبائل والأجناس البشرية الكبرى من عرب وزناته وطوارق وغيرها، مشكلة جماعات لهجية تمتاز فيما بينها بلهجاتها المحلية المختلفة، إضافة إلى اختلاف عاداتها وتقاليدها، لكن ما يجمعها أكثر بكثير مما يفرقها، فحضاراة أي مجتمع في مقوماته الثابتة من دين وعادات وتاريخ ووطن ولغة، فكانت اللغة العربية الوطنية والرسمية لساناً موحداً للجميع، ورافداً أساسياً لما أصبح يشكل لهجة محلية تواتية تضرب فيها العامية العربية بسهم وافر لعوامل عدة، تاركة الجزء البسيط لبقية اللهجات، والباحث في بنية اللهجة التواتية يجد في كثير من الأحيان أنه لا يفصلها عن اللغة الأم سوى قضية الإعراب تقريباً، وأكثر من هذا أنها ظلت تحافظ . إلى الآن . على كثير من خصوصيات العربية وتمثل في ظواهر لغوية غابت أو غابت عن اللغة الرسمية، فم العلاقة بينها وبين اللغة العربية الأم؟<sup>32</sup>.

علاقة اللهجة التواتية باللغة العربية الفصحى:

## مجلة الكلم - العدد الأول

يظهر لنا الترابط بين لهجة توات والعربة الفصحي من خلال ما لاحظناه على مستعملها أو فيما صاغوه من أقوال مأثورة أو فيما أبدعوه من آثار أدبية، وهذا التداخل يتمظهر أكثر في البنية التركيبية لهذه اللهجة وما يضبطها من نظام يشابه نظام العربية، حتى جعلنا نؤكد أن الفارق بينهما لا يعود أواخر الكلم - الأعراب - من منطلق أنه ظاهرة لغوية وخاصة خصيصة بالعربة دون سواها. وستنتبع صلتهما عبر ثلاثة مستويات مختلفة أولهما مستوى المفردات، وثانهما مستوى التراكيب، وثالثهما نرصد معجماً لغوياً من خلال الاستعمالات اللغوية للسكان أثناء التواصل.

### أولاً: جانب المفردات.

#### ١. مستوى القواعد: ونمثل بالتحريف وذلك نحو<sup>33</sup>:

في صيغ الأفعال: مثل "كتب يكتب، وخرج يخرج، ورجم يرجم"، وهذا كله بتسكنين الحرف الأول والأخير في الماضي، وفتح العين في المضارع بدل ضمها، والفرق بينهما واضح وهو أن العامية التواتية تبدأ بسakan والعربة لا تقبل ذلك، وأن المضارع في العربة يأتي مضموم العين وفي العامية التواتية يأتي مفتوحاً.

حذف النون: ونستدل عليها بالأفعال المضارعة التالية التي ثبت فيها النون في العربة نحو "يدخلون، يخرجون، يرجعون"، فأهل الإقليم يقولون: يدخلوا، يخرجوا، يمشوا، ....الخ والفرق بين هذا النظام ونظام العربة، هو أن في اللهجة التواتية تسكن ياء المضارعة وتفتح فاء الفعل وتسكن عينه.

تسهيل الهمز: وهذا في مثل قولهما: "جيـت، بـير، موـمن، قـرا، ...."

في اسم الفاعل: يصوغون اسم الفاعل من الفعل المعتل على الأصل ودون إبدال كما في العربة، ففي باع يقولون باع بدل باع، وفي سال سايل بدل سائل، وفي صام صايم بدل صائم، ففي

## مجلة الكلم - العدد الأول

العربية عند استدراك اسم الفاعل تبدل الياء الأصلية والتي تكون عادة عيناً للفعل همزة، إلا أنها في اللهجة التواتية نجد أنها تستغني على الإبدال وتصوغ اسم الفاعل على أصله.

في الأسماء الخمسة: لا تلتزم العامة هنا بقاعدة هذه الأسماء في حالة الجر أو النصب، بل تأتي بها مرفوعة في كل الحالات، مثلاً في حالة الرفع للفاعل نقول في التواتية: جا خوه، وفي حالة النصب على المفعولية نقول شفت خوه، وفي حالة الجر على الإضافة مثلاً نقول كتاب خوه، فنلاحظ أنها وردت في الحالات الثلاث على الضم.

في أسماء الإشارة: يبدل الذال دالاً فيقولون داك الرجل، وديك البنت، وقد يلحقونها بالهاء بداية فيقولون هداك الرجل، وهديك البنت.

في الاسم الموصول: تغوص الأسماء الموصولة "الذي، التي، الذين، اللواتي، ...". بلفظ "اللي، أو اللي"، فاللفظ كما نرى يأخذ الشق الأول من بنية تلك الأسماء، بالإضافة إلى الحرف الأخير أحياناً، وقال الكوفيون أن الألف واللام قد تقوم مقام "الذى" لكثرة الاستعمال تخفيفاً وعلى ضربها يقول الفرزدق:

ما أنت بالحُكْمِ التَّرْضِيِّ حُكُومَتُهِ :: وَلَا أَصِيلُ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالجَدَلِ

فالترضى؛ يريد بها الذي ترضى

في التصغير: يتم بالطريقة نفسها في العربية، لكن بفتح الأول أو تسكينه لا ضمه، وبفتح ما قبل الآخر نحو "عمير، حميد، خويره، بنية".

وفي المركبات يصغرون الجزء الأول فقط أيضاً نحو: "عبد الله، عبد القادر"، وقد يستغنون عن الجزء الأول ويصغرون الجزء الثاني، "قويدر"، كما أنهما يرخمان المضاف بحذف آخر المضاف إليه، فيقولون في "يا عبد القادر" "يا عبد القا"، وحينما ينحتاجون من المركب لفظاً يصغرونه عادياً أيضاً في قولهم "عبد الله، عله، عليه،

## مجلة الكلم - العدد الأول

### 2 . مستوى بنية الكلمات<sup>34</sup> :

وهي تعبر العامة هيئة كثير من الكلمات زيادة أو نقصان ومن أمثلة ذلك : جلدية/ من جلب/ وهذا بإبدال "الباء الأولى" لاما" وإدغامها، وإضافة ياء مشددة وهاء السكت

وفي القلب المكاني:

يقولون عفر يعفر بدلا من رعف يرعد.

يقولون قصب بدلا من قبض.

وما سط بدلا من سامط.

" ويقولون جبد بدلا من جذب" وهم إبدال بين الذال وال DAL

وفي النحت يقولون: أما / المركبة من "أن، ما، لا"، وأصالها كما يقول شوقي ضيف أن كنت لا تفعل" وقد استشهد للرسول "ص" قال فيه لفتية من الأنصار رأهم يتبعون بعيرا قال : أتبיעونه ؟، قالوا لا بل هو لك إما لا فأحسنوا إليه" ويعلق شوقي ضيف على هذا فيقول: "أراد إن كنتم لا تبيعونه فأحسنوا إليه" ونظير هذا عند العرب شاهدهم الشعري:

أبا حُراشَةَ أَمَا أَنْتَ ذَا  
فَإِنَّ قُومِي لَمْ تَأْكُلُهُمْ

والتقدير فيه: إن كنت ذا نفر، فحذف الفعل وزاد ما على أن عوضا عن الفعل.

بعدين / المركبة من كلمتين: بعد أن.

عمنول / المركبة من كلمتي: عام وأول.

فيسبع / المركبة من في الساعة,

## مجلة الكلم - العدد الأول

ما عليهش/ المركبة من حرف الجر "من" ومن الظرف "أين".

ما كانش منها: وأصلها ما كان شيء منها.

ويلمه: وهي لفظة للتعجب مركبة من ويل لأمه. وأصل العبارة عند العرب دعاء قم وسعت دلالتها لتشمل التعجب. وقد وردت في كلام العرب عند الشاعر كعب بن زهير في قصيدة بانت سعاد حيث يقول:

وَيَلْقَهَا خَلَةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ :: بُوعَدِهَا وَلَوْ أَنَّ النُّصْحَ مَقْبُولٌ

مستوى الإبدال في الحروف والحركات:

توجد هذه الظاهرة بكثرة نحو إبدال الذال دلاً أو زايا نحو قولهم: أزن بدل أذن، زياب بدل ذباب، أستاز بدل أستاذ، لأن العامة في الإقليم لا تنطق الذال بتاتا، وهذا الأمر يعاني منه حتى الناطقين بالفصحي وهذا راجع لجغرافية الإقليم.

إبدال السين صادا نحو قولهم قارس بدل قارص.

إبدال السين زايا: نحو مهراز بدل مهرايس.

إبدال الضاد دلا: في مثل قولهم مدغ بدل من مضغ.

إبدال الطاء ضاء: نحو قولهم الحفظ، الحنضل، الضفر، الضهر، وهذا الإبدال أيضا مطرد في العربية وقد ألفت فيه منظومات عدة للتفرقة بين الحرفين.

إبدال العين غينا: في مثل قولهم غامق بدل عامق.

إبدال القاف كافا فارسية: أي قافا بثلاث نقاط، مثل تقدم، قرب، قدام.

## مجلة الكلم - العدد الأول

إبدال اللام نونا، في مثل جبريل جرين، واسماعيل اسماعين.

وعند بعضهم تبدل الألف والهمزة عينا: نحو القرآن القرعان، القراءة القراعة.

ثانياً جانب التراكيب: ونمثل له ببعض الأساليب البلاغية ومنها:

### 1. التشبيه:

التشبيه من الظواهر البلاغية التي امتازت بها العربية، وال通用 في إقليم توات تستعمل التشبيه بكثرة، وبمختلف أنواعه، خاصة البلوغ، وذلك نحو قولهم، شيطان، مهبول، ذيب، وتقدير الكلام: أنت شيطان، أنت ذيب، وهذا في التشبيه البلوغ وهو الغالب مقارنة بالأنواع الأخرى، ويستعملون كلمة تقول أو كيف، أو كي كأداة تشبيه، فتقول ذيب معناها وكأنك ذيب، وقولهم: هو كي الذيب يعني هو كالذئب.

### 2. المجاز:

ال通用 إذا رأى أحدهم يقبل امرأة أو فتاة فيقال: "فلان يحب فلانة" ويحب هنا مجازاً حقيقته يقبل فنحن لا نقبل إلا من نحبه، من هنا كانت العلاقة بين المجاز والحقيقة سلبية، ويقولون أيضاً: رجل شبعان أي غني، أن الغنى غالباً ما يكون سبباً في الشبع. ومن كلامهم خضراء الأرض" إذا زرعها وحقيقة خضر المجازية كما قلت زرع أي الزرع الذي سيكون أخضراراً والعلاقة هنا باعتبار ما سيكون<sup>35</sup>.

### 3. الكناية:

تستعمل العامة في إقليم توات الكناية بكثرة بغية تكثيف المعنى وقويته، لتأثير في المخاطب ومن ذلك نجد<sup>36</sup>:

- بارد القلب: وهي كناية تقال للذى لا يبالى ولا يعطى أهمية للأمور.

## مجلة الكلم - العدد الأول

- راه يصَفِّر: كناية عندهم عن الإفلاس ولها نفس المعنى في العربية.
- كتافوا عراض: كناية عن صفة القوة والسلطة المادية والمعنوية، ومثلها كذلك واصل.
- نهار كحل: كناية كثرة الأشغال في هذا اليوم.
- شايل الله به: كناية لتعظيم الأولياء وأصلها شائل الله به، أي رافع من شال بمعنى رفع.
- اللا باللقي: كناية عن الرفق والتأنى، وهي من قوله تعالى ﴿ لَا تَقْرُبُوا مَالَ الْبَيْتِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَقًّا يَبْلُغُ أَشْدَهُ ﴾<sup>37</sup>

مستويات التعبير اللغوي في إقليم توات:

اللغة ظاهرة اجتماعية ترتبط بالوجود الإنساني أقليات وجماعات، وهي مفصل التطور الحضاري فكلما حافظت الأمة على لغة لسانها كلما فرضت بقاءها واستمرارها، ولعل العامية العربية قد فرضت نفسها على ألسنة سكان المنطقة أصليين أو وافدين بعد أن عاشت في صراع لغوي منذ زمن ليس بالبعيد مع العديد الألسنة نتيجة الهجرات التي لحقت أقلاليمه الثلاث توات قورارة تديكلت، والمتبعة للسان التواصلي في الإقليم يتراهى له تنوع مستويات التعبير واختلافها حسب المقام والطبقات والمكان أحياناً، غير أن اللهجة التواتية أو العامية العربية المقصورة كما يسمها البعض هي اللغة التي تظل الرابط بين ألسنة الجميع، فمن بين المستويات التي نجدها في الإقليم نجد:

#### العامية الدارجة:

ونقصد به لغة تواصل أي فرد جزائري في الإقليم مهما كانت طبيعته أصلياً أو وافداً، ولأنَّ أغلبية السكان أصليين فإنَّ هذا المستوى يكون أكثر انتشاراً لدى الوافدين فكلَّ يتكلُّم بلسان لهجته الأصلية سواء كانت لهجته تنتهي إلى العامية الجزائرية العربية مثلاً، أم ترجع لهجته إلى البربرية كالشاوية أو الأمazغية، الذين يجدون أنفسهم مجبرين على استعمال هذا النوع من المستوى التعبيري كونَ الزناتية التي هي أصلية في الإقليم وشديدة الصلة بلهجاتهم قلَّ استعمالها واستعيض عنها بالعربية كما أشرنا سابقاً، أما السكان الأصليون فإنَّ هذا المستوى التعبيري الدارج يقلُّ استعماله لأنَّ الأغلبية الغالبة تستعمل مستوى قريب من العامية المفصححة، ويستعمل هذا في ميادين عدة أهمُّها التجارة والشغل، والخدمات، ... الخ.

#### عامية قريبة من العامية المفصححة:

نجد هذا المستوى التعبيري للغة بنسبة كبيرة لدى السكان، فهي لغة حديثهم في الشارع والتسوق، لغة تجسد الحياة الاجتماعية لجماعة لغوية ارتبطت بالإقليم منذ قرون، يتواصل به الفلاح والسوق والتجار وسائق سيارة الأجرا، هو لغة المرح والسمو يفهمها الجميع العام والخاص، وهذا المستوى التعبيري في الإقليم هو الذي كانت له القابلية والحيوية للتداخل اللغوي مع اللهجات الوافدة سواء العربية أو البربرية، وكان السبب في تمهد الطريق إلى اللهجة التواتية كعامية مفصححة لتكتسح الألسنة وتتشكل لغة مشتركة في الإقليم، وهذا راجع إلى أنَّ مستعملي هذا النوع من اللغة يمثلون عضد المجتمع، لأنَّ الكل يتواصل معهم لقضاء حاجاته، فيجد نفسه ملزماً للتواصل معهم، ونتيجة ذلك يتأثر بها ويستعملها هو أيضاً، وهذه العامية تمتد جغرافيتها من توات إلى قورارة إلى تديكلت ولا تختلف إلا في بعض المفردات والتراكيب، الناتجة عن تغير البيئة. وميادين استعمالات هذا المستوى اللهجي نجدُ بين السكان الأصليين خاصة، فهو لسان تواصلياتهم ولهمجة كلامهم، ويستعمل في مختلف الأنشطة اليومية.

العامية المقصحة:

ونقصد بها اللغة العامية الأقرب للفصحى، وهي لغة الطبقة المتعلمة والمثقفة، سواء الذين تعلموا تعليما دينيا في الزوايا والمدارس القرانية، أو تعليما تربويا في المؤسسات التربوية والجامعات، غالبا ما يتواصلون بهذا المستوى في أحديهم اليومية أو في مناقشاتهم العلمية بحكم التخصص، وهذا النوع من المجتمع اللغوي يجد سهولة للارتقاء بمستوى الحديث إلى الفصحى، كما يجد سهولة في التواصل مع باقي مستعملى المستويات الدنيا، «فهي لغة المتعلمين تمتاز بالتزامها بقواعد اللغة كما أنها تقبل بعض التراكيب السهلة الخاصة بالعامية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ظاهرة النفي في العامية التي تتم عن طريق "ما" التي تسبق الفعل، و"الشين" التي تلحق بآخر الفعل»<sup>38</sup>، وهذا المستوى التعبيري من اللغة لا يكاد يفرق بينه وبين العربية فقط قضية الإعراب، حيث إننا نجد في تراكيبه وحمله نظام ترتيب للمفردات يشابه ترتيب العربية الفصحى، بل نجد أحيانا أن العبارة الواحدة إذا قرأتها بحركات الضبط الإعرابي تجد لغتها فصيحة، ونفس العبارة إذا أسقطت منها الحركات تجدها عامية مقصحة. ومثال ذلك قول الشاعرة نانة عيشة الجعفرية "ق 12 هـ" مادحة الرسول صلى الله عليه وسلم في قصيدة ملحونة:

**الضَّبُّ وَالغَرَالُ كَلَمَهُمْ سَيِّدُ الرِّجَالِ :: وَتَوَسَّلَ لِهِ الطَّيْرُ وَالْحَصَى يَا فَهَّامِي**

ونفس البيت نعيد كتابته ولكن هذه المرة نضبطه بحركات الإعراب لنعطيه صبغة الفصحى فنجد:

**الضَّبُّ وَالغَرَالُ كَلَمَهُمْ سَيِّدُ الرِّجَالِ :: وَتَوَسَّلَ لِهِ الطَّيْرُ وَالْحَصَى يَا فَهَّامِي**

فالتأمل يجد أن ترتيب مفردات البيت هو نفسه ترتيب نظام الجملة العربية، ولا يمكن التفريق بينهما إلا بطريقة الضبط والقراءة. وهو ما يجعلنا نقول أن العامية في توات ما هي إلا فصحى محرفة، وسبب انتشار هذا المستوى التعبير اللهجي في الإقليم هو أن غالبية مستعمليه مثقفين، على درجة لا يأس بها من المعرفة والعلم، فاكتسبوا هذا النمط من اللغة من مجالستهم أهل

## مجلة الكلم - العدد الأول

الذكر والفكر، أو مصاحبتهم الكتب، إضافة إلى ذلك قراءتهم القرآن الكريم يومياً في البيت فرادى وهو ما يعرف بالراتب، أو جماعات في المساجد وهو ما يعرف بالحزب، وبهذا نؤكد على أهمية القرآن في الحفاظ على العربية واكتساب الملكة اللغوية.

قضية ترتيل القرآن وحفظه ظاهرة يمتاز بها الإقليم منذ القديم، وهي منتشرة بشكل كبير، ونجدتها حتى عند الجماعة اللغوية التي تستعمل المستوى التعبيري العامي القريب من العامية المفسحة، والفرق بينهما أن هذه الجماعة اللغوية ذات اللسان العامي المفصح، لها مستوى معرفي يؤهلها للتحدث باللغة بكل تلقائية، ومرجعية ذلك لمستواهم العلمي المتقدم ...، الذي يساعدهم على قراءة القرآن وتدرسه، بعكس مستعمليني اللسان العامي القريب من الفصحي، فهم ذوي معرفة ساذجة، لا يستعملون من اللغة إلا ما اكتسبوه من الحياة الاجتماعية تواصلاً، أو اكتسبوه من حواضر الذكر من زوايا ومساجد استماعاً.

### العربية الفصحي:

تسميتها تدلل على مفهومها «أرق المستويات، تمتاز بكونها محدودة الاستعمال يستعملها فقط ذوو المستويات الثقافية، وخاصة المتخصصون في اللغة العربية كالأدباء والدكتورة في المقامات العلمية كمناقشة الأطروحتات وإلقاء المحاضرات»<sup>39</sup> العلمية والخطب الدينية في المساجد والتظاهرات العلمية من ملتقيات ومؤتمرات. ونجدتها لدى الأئمة وشيوخ الزوايا، ومجالسيهم من طلبة متلمذين أو أساتذة مدرسين أو وافدين زائرين، «وذلك أن المتعلم المتخصص في اللغة العربية المحيط بقواعدها لا يعني التزامه المطلق بهذا المستوى ولكن لا إراديا قد ينتقل من مستوى المنطوق الفصحي إلى المستوى العامي المتفصح حتى وإن كان في مقام علمي»<sup>40</sup> ، أو إراديا حسب السياق وما يقتضيه مقام المخاطب، وهذا لأن المستوى المثالي كما يرى william labov أنه «لم نتوصل أبداً إلى إيجاد متكلم توصل إلى التحكم في زمام اللغة الفصحيّة...»<sup>41</sup> ، وهذا طبيعي في وقتنا الراهن لا يمكن أن نجد عربياً يتحدث باللسان العربي الفصحي بسلامة نظامه صوتاً وصرفًا ونحوًا، ودقة معناه دلالة وبلاغة.

جماليات الصراع اللغوي في الحياة الاجتماعية بإقليم توات بين الاستعمال والابداع الفكري:

أولاً: الاستعمال اللغوي:

الحياة الاجتماعية هي المجال الذي يمارس فيه الإنسان مختلف الأنشطة اليومية منأكل ولباس ونوم وقراءة وزواج وأفراح وأتراح ... الخ، فالطابع الاجتماعي للحياة الإنسانية يحوج الأفراد إلى التعاون والتفاهم وتبادل الأفكار في شتى مجالات الحياة، ولا يكون ذلك إلا بالتعبير عما يجول في خواطرهم من معان وأحساس ومدركات، لذلك فإن ألفاظ الحياة الاجتماعية هي تلك المتداولة أثناء التواصل اليومي وهي تعتبر صورة تلقائية طبيعية للاجتماع، تنبئ من الحياة الاجتماعية وما تقتضيه هذه الحياة من شؤون متعلقة بالانسان<sup>42</sup>.

ومن ألفاظ الحياة الاجتماعية في إقليم توات نورد حقلين مختلفين لبعض المفردات الشائعة في الاستعمال، وهما حقل الأوانى والزراعة.

أ. حقل الأوانى وبعض المتابع:

تعتبر الأوانى من أهم الوسائل التي لا يمكن للإنسان الاستغناء عنها، لارتباطها الشديد مع طبيعته السيكولوجية، الأمر الذي جعلها ضرورة حتمية في الحياة الاجتماعية، وبعد تأملنا لمفردات هذا الحقل المعجمي في استعمالات أهالي توات وقفنا على بعض منها وهذا بيانه:

الطبق: جاء في معاجم اللغة «الطبق كل غطاء لازم على الشيء، وطبق كل شيء والجمع أطباق»<sup>43</sup>، والطبق في استعمال العامة في توات، من الأوانى المنزلية المصنوعة من سعف النخيل وزيونه، ويستخدم لأغراض عدة كغطاء، وهو المعنى نفسه الذي ورد للفظة في العربية الفصحى، ولا فرق بينهما إلا في النطق، حيث تنطق القاف قافا لهجية بثلاث نقاط، وجمعه طباق، ويؤنث الطبق فيقولون الطبيقة بإضافة تاء التأنيث وياء قبلها، وتجمع على طبيقات، والفرق بين الطبق والطبيقة يتم وفقا للشكل وغاية الاستعمال، أما طريقة الصنع فهي واحدة بالمكونات نفسها ومواد الصنع والشكل الذي يحدد كل منها

الطاس: الطاس الذي يشرب فيه، والطاس في اللهجة التواتية الإناء الذي يستخدم في الشراب خاصة شرب الماء، ومؤنته طاسه بإضافة الهاء أو التاء، وتستخدم لشرب اللبن عادة. وخرجت اللفظة إلى معنى آخر وهو الصحن الصغير الذي يوضع فيه طعام الصغير لتعلم طريقة الأكل، قبل أين يكبر ويتعدى على الأكل مع الكبار، فنلاحظ أن اللفظة أيضاً قد حافظت على دلالتها الأصلية كما في الفصحي.

. ماعون: جاء في المقتضب للمبرد أن الماعون «الآنية لكل شيء، ويطلق الماعون والفالس والقدوم والقدر ونحوها والأنقياء والطاعة»<sup>44</sup>، والماعون في العامية التواتية يطلق على الآنية ويجمعونه على أمّاعين، ونراهم قد خرجوها بهذه اللفظة إلى معنى دلالي آخر له امتداد إلى المعنى الأصلي، وهو الماعون الذي يقدم كوجبة تامة في المناسبات والأفراح خاصة ما تعلق بالمناسبات الدينية "الزيارات"، والأعراس، وتقابل كلمة مائدة بكل مستلزماتها، وتجمع كذلك على أمّاعين.

. الرضفة: من رصف «الرضف تدل على الحجارة المحماة والتي تستعمل لمختلف صنوف الطري الشعبي وهو استعمال فصيح»، وجاء في لسان العرب: الرضف الحجارة التي حميّت بالشمس أو النار، واحدتها رضفة وفي الحديث كان في التشهد الأول كأنه على الرضف وهي الحجارة المحماة على النار<sup>45</sup>، وبذلك حافظت اللفظة على معناها الفصحي في اللهجة التواتية.

. المهراس: أصله المهراس في العربية من المهرس «وهو الدق ومنه الهرسة وهو دك الشيء بالشي العريض كما تهرس الهرسة بالمهراس والمهروس بها والهرس ما هرس»<sup>46</sup>، وهو نفس المعنى في اللهجة التواتية وربما لحقها تحريف طفيف على مستوى التسمية حيث لحقها إبدال بين السين والزاي، فالسين مهموس والزاي مجھور واستبدلا ليتجاوز صوتان مجھوران "الراء والزاي".

. القصعة: الضخمة تشبع العشرة والجمع قصاع وقصع، والقصعة بإبدال القاف الفصيحة قاف لهجية في عاميتها وعاء أو صحن يصنع من خشب الشجر، خاص بأكل الطعام، ويكون بشتي الأحجام<sup>47</sup>. حافظت هذه اللفظة على دلالتها الأصلية في الاستعمال اللغوي في توات، فهي إناء لتقديم الطعام لجماعة من الناس، غير أنها تأتي مرادفة للفظ ماعون الذي يقدم فيه الطعام،

والفرق بينهما أن الماعون بالمفهوم العامي يتضمن القصعة لأنها تقابل الصحن الذي يقدم فيه الطعام والماعون يشمل على الصحن وغيره من الصحنون المتممة له.

ب . حقل الفلاحة والزراعة ومستلزماتها<sup>48</sup> :

- الودة: وهي التراب الذي تسد بها فتحات "أبادوا" الموصلة للحقل المزروع.
- الزمام: هو كتاب تقييد فيه عدة الفقاراء إجمالاً، ونصيب كل مالك، وأسمائهم، ولأهميته لا يوضع إلا عند أمين ولا يكتب فيه ولا يمحى منه إلا بحضور الجماعة، ويعرف بجريدة الفقاراء.
- الساقية: الممر المائي الذي يمر بواسطته الماء إلى المناطق الفلاحية.
- السريحة: جزء من الأرض المزروعة محاطة بسياج أو جدار.
- أفراق: سياج من جريد النخل تحاط به الأراضي الزراعية.
- الصمامنة: هي المسدة التي يسد بها ثقب الماجن وانفياف.
- العين: تعني منبع الماء.
- القمون: هو وحدة من القطعة المزروعة مستطيلة الشكل، قد تصغر وقد تكبر.
- القنطرة: هي ممر الماء من الماجن إلى المساحة المراد سقيها وتسعى أبادوا كذلك.
- الماجن: هي الحوض الذي يتجمع فيه الماء الذي يأتي من القسرية. ويقابلها حديثاً الباسان الذي يتجمع فيه الماء بعد خروجه من البئر.
- الحاسي: البئر.
- المسحة: معروفة وهي آلة سقي تقليدية تستعمل في الأماكن الرطبة واللينة. وتستعمل في رد التراب أثناء السقي من قمون لآخر.

### النشاط الفكري والإبداع الأدبي:

للأدب الشعبي أهمية بالغة في الحفاظ على الهوية القومية وتراث الأمة، ومن ميزات الأدب الشعبي لغته العامية التي تفهمها العامة، ولأن اللهجة التواتية كمستوى تعبرى عامى مفصح هو لسان الأغلبية في الإقليم، كانت نتاج لغة تعلمهم وإبداعهم، في مسار مواز للغريبة الفصحى، حيث الوسيلة تعليمية في المدارس القرآنية والزوايا، فمن أساليب النص والارشاد: بعض العبارات التي يرددتها الطالب "مدرس القرآن" قوله حاثا على العلم:

"العلم صندوق من الذهب والجهنل صندوق راشي، والذى لم يقرأ كي يعبد مات عبادتو بلا شيء"

ويقابلها بالعربية الفصحى:

"العلم صندوق من الذهب والجهنل صندوق راش، والذي لم يقرأ كي يعبد مات عبادته بلا شيء"

نلاحظ أن ترتيب المفردات الواردة في هذه العبارات هي عربية فصحى، وما أدى إلى تدريجها هو التلفظ بها لهجيا بإسقاط حركات الإعراب، إضافة إلى بعض التحريرات اللغوية التي لحقتها نحو:

التقاء ساكنين في مثل: العلم صندوق، والجهنل صندوق، مات عبادتو

إبدال الاسم الموصول الذي بـ "اللي" وهذا جائز في العربية .

إبدال أداة النفي لم بـ "ما" الأمر الذي جعل زمن الفعل يتغير .

تغير زمن الفعل من الماضي إلى المضارع تبعاً للتغير أداة النفي.

إبدال ضمير الإعادة بالواو بدلاً من الماء.

ونجد هذا المستوى التعبيري كذلك في مجال التعليم ومحو الأمية، فالذين لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، كبار السن، يتعلمون ما يتعلق بالصلة والوضوء من أركان ونواقص بأسلوب بسيط نحو قولهم عن فرائض الوضوء: "وجهي ويدبي، زامي ورجلي، والدلال والفور والبنية" فالعبارة كما نرى وردت بمفردات عربية فصحى وما ميزها عنها فقط حركات الإعراب، وقد صاغ الشاعر محمد بن المبروك البدوي التواتي "ت 1195هـ" فرائض الوضوء بأسلوب شعري بسيط في قصيدة شعبية حتى يتغنى بها من عجز عن حفظها رابطاً الشعر الملحن بالتغنى الفلكلوري قائلاً:

هَادُوْ فَضَائِلُ الْوُضُوْ أَفْعَالُ الثَّانِي :: وَالبَعْضُ مَا فَهَمْهُمْ عَلَيْهِ صَعَابُو

هَذَا سَبِيلُ جَبْتُوا لِأَهْلِ الطَّبَالَةِ :: اما الي قرا فرض الله عليه كتابو

وبعيداً عن الشعر نجد السرد القصصي والروائي يحفل بهذا الصراع اللغوي في مفارقة جمالية لمستوى التعبير الأدبي يزاحج بين الفصحى والعامية المفسحة ونورد لذلك مقطعاً من رواية تلك المحبة للحبيب السايج قائلاً: « ما إن أشاعت إحدى القوادات أن مبروكه قضت يوماً كاملاً مع جبريل في ديره حتى انتشر الخبر مثل حريق البخور، وقالت العرافية بنت كلو لبعض خاصتها على مائدة الضحوية: "العرق دسّاسن والدّم حسّاسن نبضة وفطرة توصّل لأشكل مبروكه بنت رؤمي فيها من لنصارى نفحة ومن ملئهم نفحة" فتأفتت إحداهن على مراء: الله يسْتَرَ بنت حبّيبة أطْوَرْتُ ، وتشفت أخرى "لْفَحْلَةُ بَثَثَ أَمْهَا" »<sup>49</sup>

وفي مقطع آخر يقول: « كان الطالب آيا جيده لما رجع يوماً من غير ميعاد مسبقاً ولا سبب باد، أدركت البتوح حجم الفداحة، وغور الاصابة حتى قبل أن يتلقف يدها ويقبلها متضرعاً: أنا في عارك أمولاتي، وحُلْثِنِي وحُلْثِنِي لُقاوريَّة، الشدة فالله والتعوال عليك، انتِ صاحبة مقام لعال ولكلام لغالي جيتك بحال واحد هارب من سقاط عند جيده يلقى سعاً هجرني النوم وخاطري تشطن، الشيطان غوانى ولعقل شور، انا في عارك قولي لي اذا كنت شفت في وجه الراهبة ما قرائته في عيني واذا انا غلطت أمولاتي غرميَّي »<sup>50</sup>

فالتأمل في لغة النص يلاحظ غواية المستوى التعبيري للهجة التواتية على السرد الروائية للحبيب السايج، فالنص يعيش محنـة الصراع اللغوي ليس لدى الكاتب ولكن طبيعة الحكي والبناء الروائي تستدعي تشخيص عناصر السرد من لغة وأمكنـة وأزمنـة ووقائع وأحداث كما هي، بصورة جمالـية حتى تؤثر في القارئ، فكانت لغـة تلك المحبـة عبارة عن مفارقة لغوية في صورة جمالـية جسـدها الصراع اللغوي السـردي بين العربية الفصـحيـة والعامـية المـفصـحة.

وعن المسرح في إقليم توات، فلم يسلم هو أيضاً من هذا الصراع اللغوي حيث ألفت مسرحيـات بالعـربية الفصـحيـة وأخـرى بالـلهـجـة التـواتـية، ونمـثـلـ لها بـمـقـطـعـ لـنـصـ مـسـرـحـيـ لأـولـ كـاتـبـ ومـخـرـجـ مـسـرـحـيـ بالـولـاـيـةـ وهوـ اـمـحـمـدـ بـوـلـغـيـ المعـرـوـفـ فـنـيـاـ بـ"ـمـوـلـايـ أـولـوـ"ـ حيثـ يـقـولـ فيـ مـسـرـحـيـةـ "ـلـمـرـاـ هـيـ الـكـلـلـ فـلـكـلـ":ـ الشـنـطـوـحـ:ـ شـغـلـ بـسـيـاسـ عـلـيـكـ أـوـ ضـرـوـرـكـ يـفـرـجـ اللـهـ،ـ غـيـرـ آـرـتـاخـ آـبـاـ الـمـعـطـيـ.

المعـطـيـ:ـ آـبـاـ رـائـحـ آـنـاـ،ـ يـاـ حـوـيـاـ السـنـطـوـخـ كـيـفـ آـلـيـ ضـارـبـيـ آـلـيـ التـوـسـوـيـسـ وـلـعـيـادـ بـالـلـهـ وـسـبـابـوـ لـمـرـاـ»ـ<sup>51</sup>

والكاتب نفسه نجد له نصوص بالعـربية الفـصـحيـة نحو:ـ مـسـرـحـيـةـ صـراـخـ الـأـجـادـادـ

### شعر الأهلـيلـ

إلى جانب هذا الإبداع الأدبي نلفـيـ إـبـداـعـاـ تـعلـقـ بـتـرـاثـ ضـربـ بـجـنـورـهـ فيـ الـقـدـمـ،ـ وـعـدـ أحدـ الأـسـبـابـ الرـئـيـسـةـ فيـ وـصـالـ إـحدـىـ لـهـجـاتـ الـمـنـطـقـةـ وـهـيـ الشـلـحـيـةـ عـلـىـ مـسـتـوـيـ قـوـرـارـةـ شمالـ وـلـاـيـةـ اـدـرـارـ،ـ هـذـاـ التـرـاثـ الـذـيـ ضـنـنـ تـرـاثـاـ عـالـمـيـاـ منـ طـرـفـ مـنـظـمـةـ الـيـونـسـكـوـ سـنـةـ 2005ـ،ـ ليـرـسـمـ مـهـرـجـانـ وـطـنـيـ منـ طـرـفـ وـزـارـةـ الثـقـافـةـ آخرـ كلـ سـنـةـ،ـ فـيـهـ تـتـسـابـقـ السـاـكـنـةـ حولـ حـفـظـ شـعـرـ،ـ الـأـمـرـ الـذـيـ هـيـكـلـهـمـ ضـمـنـ جـمـعـيـاتـ وـفـرـقـ "ـأـكـابـرـ وـأـشـبـالـ"ـ يـعـرـفـ هـذـاـ التـرـاثـ بـتـرـاثـ الـأـهـلـيلــ،ـ نـشـيدـ قـوـرـارـةــ،ـ يـلـقـيـ بـلـهـجـةـ الشـلـحـيـةـ الـتـيـ يـتـقـنـهاـ سـاـكـنـةـ هـذـاـ الـأـقـلـيمـ لـاسـيـماـ الـقـصـورـ الـمـهـتـمـةـ بـهـ،ـ وـمـنـ ضـمـنـ الـأـشـعـارـ الـتـيـ نـسـتـدـلـ بـهـاـ فـيـ هـذـاـ الـجـانـبـ شـعـرـ مـوـلـايـ عـبـدـ الـحـيـ الـمـلـقـبـ بـالـشـاعـرـ الـجـوـالــ،ـ يـقـولـ فيـ قـصـيـدةـ رـثـاءـ<sup>52</sup>ـ:

أـرـسـوـلـ سـيـدـيـ مـوـلـايـ مـحـمـدـ

بدغ قلجبَلْ نَمَقِي شَرُوْن

مَاتِيْعُ الصَّبَيَانُ لَا تُورَعُنْ  
نَبَيْ لَغْبَنْ قَمُوْنِي المَكَنْ  
إِنَيْ يَمَا أَبَابَا تَمُوتْ  
تَنَسَى إِيْسَقَوْغُ أَغَنَنْ إِيمَسَمَاغْ  
رُوغْ إِجَدَنْ رُوغْ تِغُنَوْنِينْ

ترجمتها إلى العربية

وقفت فوق الجبل ورأيت شروين  
ورأيت الصبيان وهم يلعبون  
يا أبي إن أمي قد توفت  
تسمرت رجلاه في الأرض بعد سماع الخبر  
سالت دموعي كالقرب والفقاقير  
فتعد هاته اللهجة التي يتقنه ساكنة إقليم قورارة دعامة قوية مدللة على تنوع وثراء  
لهجات هذا الإقليم ، وقد تنوعت الأغراض التي كتب فيها من رثاء وتسل وحضره..... وهو لدليل  
على الإبداع الأدبي على هذا المستوى لمتحديثها.

خلاصة:

- تحمل لفظة اللغة في دلالتها اللهجة، وهو ما وقف عنده علماء اللغة القدامى أمثال ابن جني
- تعتبر العامية لسان تواصل فهي تأدبة لنظام لغوي معين يرتبط بالجماعات ويختلف من مجتمع لآخر.

## مجلة الكلم - العدد الأول

- شهد إقليم توات خلال القرنين 12-13هـ حراكاً علمياً واسعاً في مختلف المجالات نتيجة الامتداد العلمي والحضاري لشمال إفريقيا أثراً بشكل أو باخر في تكوين وتنوع لهجة توات .
  - تعددت واختلفت الروايات حول تنمية المنطقة بتوات ومرجعيتها للأقواء يعد الأقرب لدى الباحثين.
  - يوجد تقاطع كبير بين العربية الفصحى ولهمجة الإقليم من منظور مستويات عدة.
  - نهل التراث الشعبي من الرصيد المفرداتي للهمجة توات وتجسد في إبداعات الكتاب أمثال المجموعة القصصية "حائط رحمونة" لعبد الله كروم، ورواية الزيواني للحاج أحمد الصديق، وتلك المحبة للحبيب السائح، وأتى هذا الرصيد يعكس الجانب الجمالي لهاته اللهجة وما تربع عليه من نفائس وصور وأخيلة.
- نأمل من الله العلي القدير أن تكون قد وفقنا ولو في إثارة القدر اليسير عن هاته اللهجة وما تكتنفه.

هوما مش البحث:

- 01- عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية، نشأة وتطورها، مكتبة وهبة، ط.2، 1993، ص.24.
- 02- ينظر المرجع نفسه، ص 24.
- 03- المرجع نفسه، ص 25.
- 04- سورة الشعرا، الآيات: 192 . 193 . 194 . 195 .
- 05- ابراهيم أنيس، في اللهجات العربية، مكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، مصر، ط 3، 2003، ص 16 . 15.
- 06- عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية، نشأة وتطورها، مرجع سابق، ص 25 . 26 .
- 07- أبو الفتح عثمان ابن جنى، الخصائص، ج 1، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، لبنان، دط، 1952، ص 33.
- 08- سورة الفرقان، الآية 72.
- 09- الفيروزآبادی، القاموس المحيط، ج 4، 386.
- 10- ينظر: مكي درار، كينونة الأصوات اللغوية في آثارنا العربية، أفاق علمية، دورية محكمة نصف سنوية، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي تمثراست، العدد الثالث، صفحات المقال: 89 . 98 . 89 . مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، ص 89.
- 11- أبو الفتح عثمان ابن جنى، الخصائص، ج 1، ص 33.
- 12- ينظر: عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية، نشأة وتطورها، مرجع سابق، ص 32.
- 13- سورة الروم، الآية 22.
- 14- سورة الحجرات، الآية 13.
- 15- سورة إبراهيم، الآية 04.
- 16- ينظر: عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية، نشأة وتطورها، مرجع سابق، ص 32. وينظر: الجوهرى، الصحاح، ج 1، ص 339.
- 17- ابن منظور، لسان العرب، ج 5، باب اللام، ص 4084.
- 18- الجوهرى، الصحاح، ج 1، مرجع سابق، ص 339.
- 19- ابن منظور، لسان العرب، ج 5، باب اللام، ص 4084.

## مجلة الكلم - العدد الأول

- .339-الجوهري، الصحاح، ج 1، مرجع سابق، ص .339.
- .33-ينظر: عبد الغفار حامد هلال، اللهجات العربية، نشأة وتطورها، مرجع سابق، ص .33.
- .22-سهام مادن، دراسة تركيبية للعامية الجزائرية، مؤسسة كنوز الحكم، الجزائر، ط 1، 2011.ص 08. نقل عن /عبد الجليل مرتاض، العربية بين الطبع والطبع دراسات لغوية تحليلية لتركيب عربية، سلسلة الدراسات الكبرى، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزار، ص 186.
- .23- المرجع نفسه، ص 186.
- .24-ينظر: المرجع نفسه ، ص 09.
- .25-أحمد أبا الصافي جعفرى، الحركة الأدبية في أقاليم توات . من القرن 7 هـ حتى نهاية القرن 13 هـ، منشورات الحضارة، ط 1، 2009، ص 16، وينظر: مخطوط الشيخ سيدى محمد بن عبد الكريم، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، خزانة المطارفة، أدرار، ج 1، ص 3.
- .26-أحمد أبا الصافي جعفرى، المرجع نفسه، ص 7.
- .27-ينظر: محمد بن عمر بن محمد بن المبروك الجعفرى، نقل الرواية عن من أبدع قصور توات، مخطوط موجود بخزانة بودة وخزانة با عبد الله، أدرار، ص 04.
- .28-ينظر: أحمد أبا الصافي جعفرى، الحركة الأدبية في أقاليم توات، المرجع نفسه، صفحة نفسها، وينظر كتابه: من تاريخ توات ابحاث في التراث، منشورات الحضارة، ط 1، 2011، ص 359. وينظر مخطوط: الشيخ سيدى محمد بن عبد الكريم، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مرجع سابق، ص 06.
- .29-أحمد بن محمد الفيومي، المصباح المنير المطبعة الأميرية، القاهرة، مصر، ط 1921، ج 4، 108.
- .30-ينظر: أحمد أبا الصافي جعفرى، الحركة الأدبية في أقاليم توات، مرجع سابق، ج 1، ص 18. وينظر مخطوط: الشيخ سيدى محمد بن عبد الكريم، درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مرجع سابق، ص 06.
- .31-عبد الصبور شاهين، في علم اللغة العام، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 6، 1993، ص 189.
- .32-أحمد جعفرى، اللغة العربية وعلاقتها باللغة العربية الفصحى، حلويات التراث، مجلة علمية محكمة تعنى ب مجالات التراث، العدد 05، 2006، جامعة مستغانم، الجزائر، ص 42.
- .33-ينظر: المرجع نفسه، ص 43 .44.

## مجلة الكلم - العدد الأول

- .34- ينظر: المرجع نفسه، ص 44 .45
- .35- ينظر: المرجع نفسه، ص 46 .46
- .36- ينظر: المرجع نفسه، ص 47 .47
- .37- سورة الإسراء، الآية 34 .34
- .38- سهام مادن، الفصحى والعامية وعلاقتها في استعمالات الناطقين الجزائريين، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، ص 79.
- .39- المرجع نفسه، ص 81 .81
- .40- المرجع نفسه، ص 81 .81
- .41-/. سهام مادن، الفصحى والعامية وعلاقتها في استعمالات الناطقين الجزائريين، مرجع سابق، ص william.81 نقلًا عن labov , sociolinguistique ، ص 297.
- .42- ينظر: عبد المنعم هبد العال، معجم الألفاظ العامية، دار غريب للطباعة، مصر، مكتبة الخانجي، مصر، دت، ص 22.
- .43- ابن منظور، لسان العرب، ج 4، باب الطاء، ص 2636 .
- .44- المبرد، المقتضب، نقلًا عن: عبد القارд قصاصي، دراسة وصفية دلالية في اللهجة التواتية، رسالة ماجستير، ص 121.
- .45- ابن منظور، لسان العرب، ج 3، باب الراء، ص 1661 .
- .46- المرجع نفسه، ج 6، باب الهاء، ص 4651 .
- .47- المرجع نفسه، ج 5، باب القاف، ص 3653 .
- .48- ينظر: أحمد أبا الصافي جعفرى، اللهجة التواتية الجزائرية معجمها بلاغتها أمثالها وحكمها عيون أشعارها، ج 1، دار الكتاب العربي، ط 1، 2013، ص 330 .331 .
- .49- الحبيب السايج، تلك المحبة، ص 277 .
- .50- المرجع نفسه، ص 287 .
- .51- محمد شرقى، الحركة المسرحية بأدرار، دراسة إحصائية في الإسهام المسرحي بتوات، دار أوال، الجزائر، ط 1، 2015، ص 65 .
- .52- أهليل ، مجلة تصدر عن محافظة المهرجان الثقافي الوطني لأهليل، ط 07، 2013، ص 45 .